"إن كانت الحرية هي الأرض، فالكرامة هي نواة الزرع..."

د. رانيا كفروني فرح

من كرامة الأوطان إلى كرامة الشعوب والمجتمعات والجماعات، إلى ما هنالك، وصولا إلى كرامة الإنسان قد تعبّر جميعها عن بلاغة حضور تلك الأوطان أو الشعوب أو... أو... وصولا إلى بلاغة حضور ذلك الإنسان... وكان لكل كينونة حضور يعبّر عن وجود ما، أو معتقد معين أو ربما إنتماء ما... حضور يحمل في طياته جملة معان تتمحور حول أهميّة احترام حقوق العيش بأمان وسلام وطمأنينة وحريّة فكر وتعبير والأهم بإنسانيّة، كمنطلق أساس... حيث لا حروب ولا هدر دماء... حيث لا جوع ولا فقر... حيث لا استغلال ولا استعمار... حيث لا تشرّد ولا إنكسار... حيث لا إتكالية ولا تبعيّة... إنما، حيث الحريّة الواعيّة كلمة للفصل بين أشكال فوضى المسلك ومعاني أبعاد إستقلاليّة الإنسان...

لا عجب في القول إنّ كرامة الشعوب من كرامة إنسانها... حيث كرامة الإنسان تعبير عن حضور إنسانها بصمت صارخ، على غرار خصوصيّة الحبّ التي لا يتكلم عنها المرء، بل يستشفها مَنْ حوله من خلال تفاعلاته في الحياة.

ولا عجب أيضًا في القول إنّ الكرامة الحقّ وليدة الذات الإنسانيّة وثروة الإنسان الداخليّة. هذا ويفعّلها المرء على صعيد النفس البشرية كتعبير عن قيمته الحقّ القابعة خلف قساوة تهميش قيمة الإنسان الإنسانيّة في بعض الأحيان...

حيث لا كرامة في انتهاك حرمة الأجساد وقدسيتها...

ولا كرامة في السماح بالتلاعب بالمشاعر أو استغلالها... وكم من أمثلة تُنتهك فيها كرامة الفرد بإسم الحبّ، أو تحت شعار العقائد والإيديولوجيات... و... و...

أيضًا، لا كرامة في غياب صون حقوق المرء الإنسانية في أي مجال...

فهل من كرامة تُرتجى في غياب أخلاقيات التصرف الإنساني والمعاملة الحسنة؟! كما الإلتزام بالوعود والعهود؟! أو في غياب وحدة الفكر والقول والعمل؟!

وهل من كرامة تُرتجى في غياب صدق المسلك، ونظافة النيّة ونقاء السريرة؟! كلمة حق تقال إن الكرامة حالة داخليّة لا يمسها أحد أو أي ظرف خارجي إلّا إذا ما سمح صاحبها بذلك...

إنّها بالفعل عزّة النفس بعيدًا عن الكبرياء إذا ما تعمدت بنور الوعي والفهم والنضج...

إنها فعل تقدير النفس واحترام جذورها كما هي فعل تقدير الآخرين بعيدًا عن الشعور بالفوقيّة أو الأنانية أو الغرور إذا ما صهرتها محبة الخير العمليّة...

إنها الكرامة ممارسة حقّ للحريّة الفرديّة، كحريّة إختيار وتصرف وقول ومسلك وكحريّة قرار... لا سيّما إذا ما استنارت تلك الحريّة بهدف الإنسان الأكبر، ألا وهو «الوعي في التطور والتطور في الوعي»... كما تشرحه وتشرّحه علوم باطن الإنسان- الإيزوتيريك، وهي تقدم منهج تحقيقه عمليًا في مؤلفاتها التي ناهزت المئة، حتى تاريخه، في ثماني لغات...

ختامًا يطيب لي أن أستشهد بما ذكره يومًا مؤسس مركز علوم الإيزوتيريك الأول في لبنان والعالم العربي- الدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م): «إن كانت الحرية هي الأرض، فالكرامة هي نواة الزرع».

فمن كرامة الأوطان إلى كرامة الشعوب والمجتمعات والجماعات، وصولًا إلى كرامة الإنسان ليست سوى تعبير عن تفعيل إنسانيّة الإنسان... تلك الكرامة التي تستحق الصون مدى الأزمان؛ إذ إنّها لا تنتهي مع إنتهاء عمر الإنسان، تمامًا كما الوعي وكما الحبّ... وهكذا تُخلّد الأوطان في وجدان شعوبها وتُخلّد الشعوب كما المجتمعات والجماعات في ذاكرات أفرادها... وهكذا سيُخلّد الإنسان- الإنسان في ضمير الحياة على مرّ الدهور والأزمان...